أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة

إعداد

الدكتور مهنى محمد ابراهيم غنايم

كلية التربية - جامعة المنصورة - جمهورية مصر العربية

كلية التربية - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية

أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة

مقدمة:

تعنى التربية - أية تربية - بإعداد وتشكيل الفرد البشري، منذ ميلاده، في ضوء عدة معايير تحددها الجماعة القائمة على أمر التربية، والتي ينتمي اليها الفرد، بهدف تحديد معالم شخصيته، وفقا لمنهج معين يتفق وفلسفة هذه الجماعة من أجل تحقيق اهدافها الحياتية.

ولقد عرفت البشرية نوعين من مناهج التربية، المنهج الالهي، والمنهج الارضي. الأول من عند الله سبحانه وتعالى والثاني من صنع البشر، ذلك المنهج الارضي الذي تفرع الى مناهج عديدة، اختلفت فيما بينها وفقا لهوى واضعيها واتجاهاتهم، وتبعا لتصوراتهم عن الكون والحياة والانسان ... الخ.

وللحق فما أثمرت هذه المناهج الارضيه (التي صنعها البشر) إلا عدوانا من الانسان على اخيه الانسان، فهناك مناهج تتعامل مع الانسان على انه روح تبغي الخلاص، فتدير ظهرها للحياة والأحياء. وثانية تتصوره جملة من الغرائز والشهوات الشرهة الى الاشباع، فيقع التصادم والصراع. وثالثة تراه ترساً في آلة أو فردا في قطيع. ورابعة تجعله سيدا مقدما لا يحول بينه وبين رغباته حائل، حتى ولو كانت عقائد الامه وقيمها ومصالحها. وخامسة، وسادسة .... وهكذا (١).

ويعد التعليم الدعامة الرئيسة في تقدم المجتمع ورقيه وتطوره، ويمكن له أن يحقق ذلك اذا نبع من واقع المجتمع وتكيف مع تربته وجوّه وثقافته، لا أن يكون مستعارا او مستوردا او منقولاً عن تربة اخرى غير ملائمه.

ولكل مجتمع فلسفة اجتماعيه يؤمن بها ويسير عليها ويعد افراده على ضوئها. وعلماء المجتمع ومفكروه وقادة الرأي فيه هم الذين يترجمون هذه الفلسفة الاجتماعية الى فلسفة تربوية تقود التعليم ليقود المجتمع الى الرقي والتقدم.

والنظام التعليمي من حيث اهدافه وبرامجه ومناهجه وانشطته واتجاهاته... الخ، انعكاس للنظريات التربوية والآراء والافكار التي يتبناها ويؤمن بها العلماء والمفكرون وقادة الرأي في المجتمع.

لذلك يجب ان يكون النظام التعليمي في المجتمعات الاسلامية انعكاساً لنظرية التربية الاسلامية، التي يمكن ان تصاغ على ضوئها عناصر العمليه التربوية، من حيث الاهداف والمحتوى وطرق التدريس واعداد المعلم وغيرها. اذ ان النظام التعليمي ليس شيئا جامدا؛ لأن لديه امكانية داخلية قوامها المرونة ولديه قوة تمكنه من اختيار استجابته من بين عدة استجابات يواجه به الضغوط الخارجية او القوى الداخلية الخلاقة (٢).

وعلى ذلك يمكن التجديد في النظام التعليمي والتغيير فيه حينما تتحدد اسس بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة، تنعكس بدورها على هذا النظام مؤثرة في كل جوانبه، محققة لاهدافه التي تبغيها المجتمعات العربية والاسلامية.

وتحاول الدراسة الحالية البحث عن تلك الأسس التي يمكن ان تساهم في بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة. وخلال هذا البحث عن تلك الأسس تثير الدراسة التساؤلات الآتية:

تساؤلات الدراسة:

١. ما المقصود بالنظرية، وماهية النظرية في التربية ؟.
٢. ما هي رؤية النظريات التربوية المختلفة للطبيعة البشرية، وما انعكاس ذلك على تربيتها ؟.

٣. ما هي المعالم الرئيسية لنظرية التربية الاسلامية، وما رؤيتها لطبيعة الانسان؟
٤. ما علاقة النظريات التربوية الفرعية ببناء النظرية الكلية؟
٥. ما هي الأسس العامة التي يمكن ان تساهم في بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة؟
٦. ما دور المؤسسات التربوية في صياغة النظريات التربوية الاسلامية وتطبيقها؟

النظرية والنظرية في التربية:

قليلا ما ترد كلمة نظرية في الكتابة والتأليف في العلوم الانسانية وربما يعود ذلك الى اعتقاد البعض ان هذه العلوم لم تصل الى مستوى التنظير بعد.

وينسحب ذلك على التربية، وعلة ذلك ان التربية ليست علما اذا ما قيست بالعلوم الطبيعية، فترى المؤلفين يستخدمون الفاظا متعددة مثل: المبادىء التربوية، المذاهب التربوية، الآراء التربوية، الاتجاهات التربوية وغيرها. غير ان بعضهم - وهو القليل يستخدم لفظ نظرية تربوية.

والقول بأن التربية ليست علما ينتج عنه عدم وجود نظرية في التربية. ولعل هذا ما دعا البعض الى التساؤل: هل يمكن القول ان التربية لها نظريه او ان هناك نظرية تربوية ؟ هل التربية نظام فكري معرفي منظم ؟ هل هي نظام من التفكير معترف به ؟ هل هي ميدان واحد ام مجموعة من الميادين العلمية.... ؟ (٧).

ولما كان العلم هو ذلك النسق من المعارف التي توصل اليها الانسان نتيجة الملاحظة، وهو طريقة للتفكير، ومنهج للبحث من اجل التوصل الى المعرفة (٨). ولما كانت التربية هي عملية اعداد وتشكيل الفرد الانساني في مجتمع معين في زمان ومكان معينين. حتى يستطيع اكتساب المهارات والقيم والاتجاهات وانماط

السلوك المختلفة التي تيسر له التعامل مع البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها (٩).ولما كان موضو ع التربية ومادتها هو الفرد الانساني، وهو الذي ينسق المعارف والافكار، ويحتاج في ذلك الى استخدام التفكير والبحث للوصول الى المعرفة، لاجل كل ذلك تصبح التربية علما له اصوله وقواعده ومناهجه ونظرياته.

وتعرف النظرية بأنها فرض ثبتت صحته، أو مجموعة من الفروض المرتبطة منطقيا، ووظيفة هذه الفروض شرح وتفسير الماده التي تنتمي اليها (١٠)

وتعرف كذلك بانها نسق من الافكار او الافتراضات التي تتصل بميدان ما (١١).

والنظرية عبارة عن مجموعة من الافكار التي تتولد تباعا خلال عمليات التفكير والملاحظة والتجريب ثم تنتهي بحقائق (١٢).

وهناك تعاريف عديدة للنظرية والنظرية التربوية لا يتسع المقام لذكرها وتفصيلها (١٣).

ونظرا لتطور علم النفس الى علم تجريبي، فقد انتقلت التربية من خبرة تعتمد على التطبيق فقط الى خبرة يرتبط فيها العملي بالنظري، واصبح في التربية مجموعة من الفروض الاساسية التي تأكدت الى درجة معقولة، وترتب على ذلك وجود نظريات تربوية بالمعنى السليم (١٤).

وبناء على ما تقدم يمكن القول ان للتربية نظرية او أن هناك نظرية تربوية. ويمكن تعريف النظرية التربوية بأنها محاولة لتكوين نشاط وخبرة تربوية عن طريق التفاعل النقدي البناء (١٥).

والنظرية في التربية يمكن أن تكون مرادفاً عاماً للتفكير المنهجي لمجموعة من الافكار المتماسكة، وهذا المعنى للنظرية في التربية يمكن معه القول بأن التربية قد حصدت حصادا وفيرا ومتنوعا (١٦).

طبيعة الانسان في النظريات التربوية:

اختلفت الرؤى حول طبيعة الانسان منذ أمد بعيد؛ ذلك لأن طبيعة الانسان كانت المحور الذي تمركزت حوله آراء وافكار ونظريات الفلاسفة والمفكرين، لفهم هذه الطبيعية والتحكم فيها وتكييف البرامج الدراسية والعملية التربوية لتناسب طبيعة المتعلم، ولتحقق اهداف التربية والتعليم.

وقد نتج عن اختلاف الرؤى حول طبيعة الانسان نظريات عدة تحاول تفسير السلوك البشري بأساليب متباينة. ومن ثم ظهرت الاختلافات بين هذه النظريات.

ويصنف "جورج نيلر" هذه النظريات الى: نظرية الدوام والنظرية التقدمية ونظرية الاساسيات ونظرية اعادة البناء والنظرية الوجودية (١٧). وقد ذهب اصحاب هذه النظريات مذاهب شتى في نظرتهم الى الكون والخالق والطبيعة الانسانية والقيم والمعرفة وغيرها.

ونظر "هوبز" الى الطبيعة الانسانية على أنها انانية وشريرة وقد فطرت على ذلك. ورأى "لوك" أن عقل الطفل صفحة بيضاء، وان على المدرسة ان تفعل فيه ما تشاء؛ نظرا لأنّ الطبيعة الانسانية سلبية. وآمن "رسو" بعزل الفرد عن المجتمع لأنه - اي المجتمع - اصل الشر والفساد، كما ان الطبيعة الانسانية عبارة عن عدة غرائز (كما يراها اصحابها) حيث رأى "فرويد" ان السلوك الانساني غير اخلاقي، فالرغبات الجنسية والدوافع المتراكمة من اللاشعور هي التي دفعت الناس لأن يفعلوا ما يفعلونه، اما العقل فهو في الحقيقة أداة لخداع الذات وارباك الآخرين (١٨).

وذهب النفعيون الى مبدأ اللذة والالم في تفسيرهم لطبيعة الانسان، ويعني هذا ان الاعمال التي يقوم بها الانسان ليست لها اهمية الا بقدر ما ينتج عنها من لذة أو ألم.

الانسان .. العقل والجسم:

اختلفت نظرة المفكرين والفلاسفة - كما سبق القول - منذ زمن قديم حول طبيعة الانسان، من حيث كونها تتكون من عقل وجسم، ينفصل كل منهما عن الآخر، أم انهما يتكاملون.

ولقد قسم "افلاطون" الانسان قسمين: روح تتمثل في العقل، ومادة تتمثل في الجسم او البدن؛ فأما الروح فلها وجودها الخالد، وأما الجسم فهو محدد بالمكان والزمان، وهو يولد وينمو ويموت. كما قسم افلاطون القوى التى تحكم الانسان الى ثلاث: قوة الشهوة ومركزها البطن، وقوة الغضب ومركزها القلب، وقوة العقل ومركزها الرأس(١٩).

وترتب على هذا التقسيم أن اصبح المجتمع المثالي الافلاطوني يتألف من ثلاث طبقات: طبقة الصناع وطبقة الجنود، وطبقة الفلاسفة او الحكماء؛ وذلك وفقا لنظرته الى القوى التي تحكم الانسان.

وامتد أثر النظريه الثنائية الافلاطونية لينتج عنها ما سمي " بنظرية تدريب الملكات " التي ترى ان عقل الانسان مقسم الى ملكات كالتفكير والتذكر والتخيل وغيرها. هذه النظرية تحدد اهداف التربية في اتجاه تدريب العقل الانساني دون ما نظر الى النشاط الجسمي (٢٠).

وقد ميز "ارسطو" بين نوعين من العقل، العقل العملي والعقل النظري؛ مجال الاول السلوك والفعل، أما الثاني فمجاله النشاط الحر، فهو عقل معرفي خالص، وهو قوة من قوى الانسان له طبيعة خاصة ومنفصلة عن الجسد كما ان له وجوداً أزلياً (٢١).

ولما ظهرت الحركة الطبيعية الرومانسية، متمردة على الاوضاع التي نشأت فلسفيا عن سياده العقلانية والتغالي في تقديس العقل، فقد رأت أن الانسان يقع تحت تأثير ثلاث قوى او مؤثرات في حياته، هي: الطبيعة والمجتمع والاشياء(٢٢).

وهكذا يتضح اختلاف النظريات التربوية في الغرب حول طبيعة الانسان: هل هي عقل ينفصل عن الجسد ؟ ام انهما يتكاملان ؟ إلى أن تغيرت الرؤى المختلفة حول هذه الطبيعة وفق ما جاءت به التربية الحديثة، من نظرة متكاملة لها، تجمع بين العقل والجسد، والكل اكبر من مجموع الاجزاء، والطبيعة الانسانية اكثر من مجرد احساسات جسمية وتكوينات عقلية.

أما بالنسبة لنظرة الاسلام الى الطبيعة الانسانية - التي تتمحور حولها النظريات التربوية - فيمكن توضيحا فيما يأتي:
نظر الاسلام الى الطبيعة الانسانية نظرة بسيطة سمحة، فيها ثنائية، ولكن فيها توازناً وتكاملاً، فالانسان مكون من روح وجسد، ولم يطلع الله سبحانه وتعالى البشر على ماهية الروح (٢٣): " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " (الاسراء -٨٥) اما الجسد فقد خلقه الله ليكمل الروح، وقد عني الاسلام بالجسد عنايته بالروح. والاهتمام بالجسد لا يعني أن يترك الفرد نفسه لشهواته تستبد به وتستعبده، بل عليه ان يضبطها ويهذبها ويوجه طاقاته الجسمية الى ما فيه مصلحة الفرد والمجتمع.

والاسلام هو النظام الذي يربط بين كل الوان النشاط البشري، ويوحد بينها في الاتجاه؛ فهو يربط بين الروح والجسد في كل ما يصدر عنهما من مشاعر وافكار واعمال. والعمل والعباده أمران مرتبطان؛ فالصلاة - مثلا - حركة جسم متطهر، الى جانب حركة روح متطلعة إلى الله عن طريق الخشوع، والصيام امتناع جسمي عن الطعام والشراب وتحمل الجوع والعطش، الى جانب تقوى المشاعر وانطلاقة الروح، والزكاة اعمال محسوسة تؤدي، إلى جانب التطهر الروحي ولا تصح باحد العنصرين دون الآخر، والحج كذلك اعمال جسدية وحركات روحية (٢٤). وقد ترتب على هذه النظرة الى الطبيعة الانسانية أن كانت التربية الاسلامية تربية شاملة متكاملة، تهتم بنمو الجسم قدر اهتمامها بالعقل وتقوية الروح وخلق الضمير الواعي وتنمية الوازع الديني.

الانسان .. الخير والشر:

نظر الفلاسفة والمفكرون الى الفطرة الانسانية من زوايا مختلفة، وتباينت آراؤهم في تحديد نسبتها الى كل من الخير والشر ويوضح ذلك ما يأتي: (٢٥) هناك من ذهب الى القول بان طبيعة البشر فطرت على الخير، ولا تصير الى الشر الا بعوامل طارئة على فطرته خارجة عن حقيقته. وهناك من رأى ان الانسان بطبعه شرير، وان الخير طارىء عليه، وان فطرته لا تصير الى الخير الا بالتأديب والتهذيب. وهناك من رأى ان الفرد عند ولادته لا توصف فطرته بالخير ولا بالشر، ولا تنسب لاى منهما، وانما لديه استعداد لأن يتصف بأيهما فيما بعد. هذه الرؤى المختلفة لفطرة الانسان كان لها انعكاس على التربية، ففي ظل النظرة الى الانسان على انه خير بطبعه، كان على التربية ان تطلق طاقاته المبدعة ليظهر فيه هذا الخير، ويتحقق الخير للمجتمع الذي ينتمي اليه. وفي ظل النظرة الى الانسان على انه بطبعه شرير، كان هدف التربية كبح جماحه والتصدي لذلك الشر الكامن في نفسه (٢٦) وفي ظل النظرة الوسيطة بين جانبي الخير والشر في الانسان،كانت التربية بحيث تنمي جانب الخير وتحفزه وتعمل على استمراريته، وكانت كذلك بحيث تعمل على تهذيب النفس وتأديبها والاقلال من الشر والعمل على التخلص منه.

ولقد نظر الاسلام الى الخير والشر في طبيعة الانسان نظرة وسطا؛ اذ يولد مزودا بامكانات الخير والشر معا، وسيره في أيّهما رهن بتربيته وتنشئته (٢٧). وقد عبر الرسول (ص) عن ذلك بقوله : "كل مولود يولد على الفطره وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ".

وقد اختار الاسلام التربية لتحقيق خير الانسان واعتبرها مسؤولية فردية جماعية اجتماعية، وكانت أول آية في القرآن الكريم هي التي تنزلت توحي بلب هذه الايديولوجيا الاسلامية وجوهرها (٢٨)؛ اذ يقول الحق " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم " (العلق).

الانسان .. الجبر والاختيار:

كانت قضية الجبر والاختيار مثار جدل بين المفكرين والفلاسفة من قديم الزمن؛اذ كان الانسان - في نظر المتشائمين - مسيّراً لا حرية له ولا اختيار فيما يفعل، انما هو مجبر عليه، مدفوع اليه لا يملك ازاء شيئا. وعلى عكس هذه النظرة كان الانسان مخيرا في نظر المتفائلين، يملك زمام نفسه بيده ويختار طريقه الذي يسلكه في حياته بمشيئته الحرة ووفق هواه (٢٩).

وقد غلب طابع التشاؤم على الفلسفات القديمة؛ ربما لأن انسان هذه المجتمعات كان يشعر بعجزه أمام قوى الطبيعة، فهي التي تعطيه ما تشاء وتمنع عنه ما تشاء، لذلك انتشرت في هذه المجتمعات عبادة مظاهر الطبيعة المختلفة (٣٠). بينما صار التفاؤل الطابع المميز للفلسفات الحديثة؛ لأن انسان العصر الحديث اصبح سيد الطبيعة، لا مجرد آلة من آلاتها، وصار قادرا على ان يسخر قواها لخدمته وتحقيق اغراضه (٣١).

وقد كان لهذا الاختلاف حول مسألة الجبر والاختيار اثر في التربية، فالقول بأن الانسان مسيّر لا مخيّر، أدى الى تربيته ليسير حيث أريد له أن يسير، فيقف من الثقافة موقف القابل لا الفاعل. وينشأ على ان ينظر اليها نظرة التقديس والاحترام. والقول بأن الانسان مخيّر لا مسيّر، ادى الى تربيته تربية حرة، تهتم بتنمية شخصيته ليتسطيع الاختيار في المواقف التي تتطلب ذلك ومن ثم يقف من الثقافة موقف الفاعل لا القابل (٣٢).

ولقد نظر الاسلام الى الانسان على انه مخيّر ومسيّر معا، ذلك لأن الازدواج هو السمة العامة للكيان البشري، ففي الانسان ميل الى الالتزام وفيه ايضا ميل للاحساس بأنه غير ملتزم - في مواقف معينه - وكل من الخطين اصيل وعميق كلاهما يؤدي دوراً في فطرة النفس وواقع الحياة (٣٣).

وتعدّ هذه النظرة نظرة وسيطة تتسم بالاعتدال؛ اذ انها مستمدة من طبيعة الاسلام وموقعه كدين ختم الله به رسالات السماء، فالانسان مخير ومسير معا، وهو مخير في ان يسلك أي طريق وفق هواه، وهو مسير فيما رزقه الله من مواهب وامكانيات ومال وصحة وبنين، ومن حياة وموت (٣٤).

وهناك من ذهب الى القول بأن الانسان مسير على الاطلاق او مخير على الاطلاق، وهو قول خاطىء؛ ذلك لأن تحليل الانسان الى عناصره اوضح ان فيه جمادية ونباتية وحيوانية، فما فيه من هذه الاشياء هو مسير فيها ولا اختيار له فيها، وما فيه من منطقة الاختيار بين البديلات - بواسطة العقل - فهو مخير فيها (٣٥). والانسان مخير ومسير معا، لأن الله منحه عقلا وارادة يوازن بهما بين الاشياء؛ ذلك لان العقل هو الذي يميز بين الانسان والحيوان. ومن اجمل مواقف القرآن الكريم ابلاغا عن حرية العقل قول الله عز وجل " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " (البقر -٢٥٦). وقوله تعالى " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف -٢٩).

وقد انعكست هذه النظرة على التربية، فكانت بحيث تزرع في الانسان الاتجاهين وتنميهما معا، فهي تنمي في نفسه أنه حر ولكن في ظل عبودية لله، وتجعله يحسن الاختيار، لا بقيد يغله،بل بضمير حي يوجهه حيث يجب ان يسير ويهديه الى حيث يجب ان يختار (٣٦).

وقد منح الاسلام الفرد حريته الفردية في اجمل صورها والمساواة الانسانية في ادق معانيها، ولكنه لم يتركها فوضي، فللمجتع وللانسانية حسابها وللاهداف العليا للدين قيمتها، لذلك قرر الاسلام مبدأ المسؤولية الفردية مقابل الحرية الفردية، وقرر الى جانبها المسؤولية الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها (٣٧). ومن ثم فقد استهدفت التربية الاسلامية الجماعة البشرية في كليتها ومصالحها واحتياجاتها وآمالها. وكانت " اجتماعية التربية الاسلامية " تقف ملمحا رائعا واصيلا في كل الامور التي تمس حياة الفرد والجماعة (٣٨).

الانسان .. الدافع والسلوك:

تتفق دراسات علم النفس على ان الانسان تسيره في حياته دوافع معينة للسلوك، الا ان مدارس علم النفس المختلفة تكاد تتفق عند العنوان وحده، اما التفصيلات فانها تدخل في متاهات جدل عميق حولها، فبعضها يرى ان هذه الدوافع نتيجة للغرائز التي توجد لدى الانسان والحيوان على حد سواء، فيتحرك بصورة آلية لاشباعها، لانها تثير توترا في كيانه البيولوجي، فهو يسعى لاشباعها لازالة هذا التوتر (٣٩).

وقد تأسست نظرية الغرائز على ان هناك تشابها بين غرائز الانسان وغرائز الحيوان، وظهرت هذه النظرية في عصر زاد فيه التصنيع وتميز بالثوره العلمية والنظرة العلمية التحليلية، على اساس فهم الطبيعية والظواهر بردها الى عناصرها الاولية، ودراسة ما بينها من قوى (٤٠).

وطبقا لهذه النظرية، تصبح الطبيعة الانسانية مجموعة من الغرائز تختلف في عددها باختلاف العلماء الذين نادوا بها، فمنهم من نادى بأنها واحدة كغريزة حب الذات، او الغريزة الجنسية. ومنهم من نادى بانها اكثر من واحدة (٤١).
ويؤكد "فرويد" ان السلوك الانساني - في اساسه سلوك غير اخلاقي "فالرغبات الجنسية والدوافع المتراكمه من اللاشعور هي التي دفعت الناس لان يفعلوا ما يفعلونه، اما العقل ففي الحقيقة اداة لخداع الذات " (٤٢).

وقد تأثرت التربية بنظرية الغرائز " ففي ظل الغريزة كدافع اساسي من دوافع السلوك، تطورت التربية في الغرب فصارت تقوم على الحدية واشباع الحاجات،.....، وصارت الاتصالات الجنسية بين البنين والبنات مسألة مألوفة ترعاها المدرسة الغربية، بل تدعو اليها لتزداد الخبرة بالجنس الآخر، تحاشيا لما يؤدي اليه عدم اشباعها من كبت .... " (٤٣).

ولقد نظر الاسلام الى الانسان - من زاوية الدوافع والسلوك - على انه مزدوج الطبيعة، موحد الكيان، يشمل هرمون الجنس الكيماوي والذي تصحبه مشاعر الجنس النفسية من حب وحنين ورغبة واحساس بالجمال، ويشمل العقيدة الروحية التي تصحبها حركات جسمية من التعبد والسلوك (٤٤).

والانسان في الاسلام ليس مدفوعاً بحاجات بيولوجية فقط او حاجات عقلية ونفسية واجتماعية فقط. فهي ليست كل الحاجات ودوافع السلوك، وانما للسلوك دوافع وللانسان حاجات اكرم واعظم واليق بمنزلة الانسان بين من خلقهم الله، تلك المنزلة التي فضله الله بها على سائر المخلوقات (٤٥).

ولعل في تكريم الله للانسان رد على ما جاءت به نظرية الغرائز واصحاب نظرية المنفعة وردع لآرائهم في دوافع الانسان وسلوكه.

وقد انعكست نظرة الاسلام الى دوافع الانسان وسلوكه على اساليب تربيته فمن يطلع على ما خلفه علماء الاسلام يجد كثيرا من الآراء في الغرائز وتربيتها، "فالغزالي" - مثلا - يرى ان الشهوة (وهي الغريزة عنده) خلقت في الانسان لنفعه، وانها ضروريه لفطرته. ويؤكد "الغزالي" على اثر التربية في تهذيب الغرائز والميول الفطرية وتشجيع ما يستحق منها التشجيع وتعديل ما يحتاج الى ذلك، ولا يقول بكبتها بل بقول باصلاحها وتقويمها (٤٦).

وكان فلاسفة الاسلام - في دراستهم للغرائز والميول الفطرية - متفائلين، فلم يقولوا كما قال فلاسفة اوروبا - في القرون الوسطى - بان الميول الفطرية والغرائز البشرية فاسدة، بل ذهبوا الى القول بامكانية تهذيبها وتربيتها، وبأنّ لها فوائد لا يستغني عنها الانسان؛ فشهوة الطعام تؤدي الى المحافظة على الحياة، وشهوة الجنس تحفظ النوع من الانقراض، وشهوة القتال للدفاع عن النفس وحفظ الحياة واستمرار النوع الانساني (٤٧). ولكون الاسلام يرى ان طبيعة الانسان نامية متطورة - عكس نظرية الغرائز - فقد اختلفت اساليب التربية في الاسلام باختلاف

الاعمار وباختلاف قدرات المتعلمين، فالله لا يكلف نفسا الا وسعها (٤٨)؛ لذلك تعددت اساليب التربية في الاسلام بين القدوة والنصح والامثال والترغيب والترهيب والتدريب والمناقشة وغيرها.

نظرية التربية الاسلامية:

في كتابه "النظرية التربوية واصولها الفلسفية والنفسية"، يعرض "سيف الدين فهمي" للنظرية التربوية في الاسلام، ويخصص لها الفصل السادس الذي يستهله بقوله : " قدم الاسلام للبشريه نظرية تربوية متكاملة، تظهر في سياق آيات القرآن الكريم، كما تظهر في احاديث الرسول العظيم محمد عليه الصلاة والسلام وسير صحابته والتابعين. ذلك ان الاسلام ليس مجموعة من العبادات او الطقوس او سجلاً لبعض التشريعات او التعاليم، وانما الاسلام طريقة شاملة للحياة، يهدي الناس في حياتهم الدنيا الى اشرف انواع الحياة، كما يؤهلهم ويقودهم الى الجنه والحياة الآخرة وهي خير وأبقى". (٤٩) ويمكن تحديد معالم هذه النظرية فيما يأتي:(٥٠).

١. ينظر الاسلام الى طبيعة الانسان نظرة سمحة فيها ثنائية،مع ذلك فيها تكامل وتوازن، فلم يعط امتيازاً للروح على الجسد وانما قدر الله كل شيء تقديرا. وقد عني الاسلام بالروح عنايته بالجسد.
٢. يمجد الاسلام العقل الانساني ويحترمه،يدعو الى ضرورة استخدامه واعماله في النظر في الحياة.
٣. يهتم الاسلام بآداب المعاملة، فالمستقرىء لآياته يجدها تحث على حسن الآداب التي تصون المجتمع وتطهر المشاعر وتحقق الاخوة والرحمه " يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم " (الحجرات -١١).
٤. تجمع نظرية التربية الاسلامية بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة وتدعو ان

يسهم الفرد في اسعاد المجتمع، ذلك لاجل خلق مجتمع تسوده المحبة وينعم بالامن والرخاء.

٥٠ يمجد الاسلام العلم ويرفع من شأن العلماء. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة امثلة كثيرة على ذلك، في القرآن يقول الحق سبحانه وتعالى "انما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر - ٢٨) " هل يستوى الذي يعملون والذين لا يعلمون " (الزمر - ٩) " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات " (المجادلة - ١١). وفي السنة الشريفة يقول الرسول (ص) " من سلك طريقا يطلب به علما، سهل الله له طريقا الى الجنه ".

ويوضح " احمد ابراهيم مهنا " في كتابه (التربية في الاسلام) عناصر التربية في كل من القرآن والسنة النبوية، ففي القرآن الكريم عدة آيات قرآنية تتصل بموضوع التربية حيث عنيت هذه الآيات بالعناصر الآتية :

الثقة بالله تبارك وتعالى، معنى البر وانه ليس في الشكليات، لا ثمرة بدون جد وسعي، الفهم الواضح لحقيقة الحياة ولارادة الانسان وعمله اثر واضح فيما تنتهي اليه الاحداث، تقييم كرامة الانسان واحترام شعور الآخرين، الترفع عن الخضوع للميول الشخصية والتأثر بها في التعامل مع الغير، الدفاع عن النفس امر مشروع والاعتداء على الغير امر ممنوع، الخلاف في الدين لا ينبغي ان يكون سببا في الاعتداء على الآخرين (٥١).

وفي السنة النبوية توجد احاديث شريفة تبرز العناصر الرئيسة للتربية في مجالاتها المختلفة التي تتعلق بالدين والتوحيد والشهادة والحياة الزوجية وقوامها البر بالوالدين وصلة الرحم والجماعة الاسلامية وغيرها.

وتتضح انواع التربية في الاسلام في سياق القرآن الكريم - على حد قول "عبدالله علوان" - فهي ايمانية وخلقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية وجنسية. كما انها طرقها خمس هي : القدوة والعادة والموعظة والملاحظة والعقوبة، (٥٢).

وتهتم التربية الاسلامية بالتربية الخلقية والعناية بالدين والدنيا معا، كما ان هناك ضرورة ان يكون التعليم المهني والفني والصناعي بحيث يحقق الكسب للمتعلم، بالاضافة الى اكسابه العلوم والمعارف في عدة مجالات (٥٣).

ويتضح الاطار العام لمنهج الاسلام في التربية فيما كتبه "محمد قطب" في كتابين له : (منهج التربية الاسلامية) و(دراسات في النفس الانسانية) هذا الاطار يتمثل في الآتي : (٥٤).

١. من ابرز خصائص المنهج الاسلامي : الشمول والتكامل والتوازن والايجابية والواقعية والمثالية.

٢. ينظر الاسلام الى الطبيعة الانسانية نظرة فيها شمول وتكامل، وعلى ذلك فانها تحتاج الى تربية الروح والعقل والجسم.

٣. ان في النفس البشرية خطوطا متقابلة هي: الخوف والرجاء، والحب والكره، والواقع والخيال والحسية والمعنوية، ما تدركه الحواس وما لا تدركه، والفردية والجماعية والالتزام والتطوع والسلبية والايجابية. والذي يقرأ القرآن الكريم والسنة الشريفة فاحصا ومدققا يجد انهما وصفا الطبيعة البشرية بهذه الصفات المتقابلة والتي تشكل دعامة اساسية في صياغة معالم نظرية التربية الاسلامية.

وتعرض "أمينة حسن" في كتابها (نظرية التربية في القرآن) - النظرية التربوية في الاسلام حيث تقول " ان المدقق في تعاليم الاسلام - كما جاءت في

القرآن والسنة - يجد انها تمثل فكرا تربويا اسلاميا متكاملا، يرتكز على وضوح مفاهيم كل من الفرد والمجتمع والثقافة، وقد انطلق الاسلام بهذه المفاهيم من عدة منطلقات هي : النظرة الى المجتمع، والنظرة الى الفرد، والنظرة الى الطبيعة الانسانية " (٥٥).

ولقد جاء الاسلام بنظرية تربوية شاملة حددت اهدافه ومناهجه والوسائل المختلفة لتحقيق هذه الاهداف (٥٦).

وينظر الاسلام الى الطبيعة البشرية على انها خيرة بالفطرة وشريرة بالفطرة، والعقل هو الذي يتحكم في سيادة احد هاتين القيمتين على الاخرى، وللانسان مطلق الحرية للتصرف بعقله في اتباع الخير او الشر (٥٧).

وأدراك الاسلام لطبيعة الانسان جعلته يقرر ضرورة تنمية جميع جوانب شخصيته مادية وروحية على حد سواء، فلتنمية الجانب المادي في الانسان يقول الله تعالى " ولا تنس نصيبك من الدنيا ". ولتنمية الجانب الروحي، فرض الله الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع اليه سبيلا (٥٨).

ويتضح من هذا العرض للاطار العام لنظرية التربية الاسلامية، ذلك الشمول والتكامل الذي تتصف به طبيعة الانسان-محور ارتكاز النظريات التربوية على اختلاف اشكالها-والذي أكد عليه فلاسفة الاسلام، ذلك لأن " النظرية التربوية الاسلامية هي انعكاس للنظرية الاسلامية، وهي الترجمة التربوية النظرية والتطبيقية للاسلام، كل الاسلام؛ فكراً وروحاً وتطبيقاً في مجالات الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية...".(٥٩)

ويهتم رجال الفكر التربوي المعاصر بثلاثة أنماط من البحوث والدراسات-عند بنائهم للنظرية التربوية وهي: (٦٠)

١- دراسة العوامل الاساسية لكل القضايا التربوية المعاصرة (بأسلوب علمي).

٢- دراسة الجذور التاريخية للمشكلات التربوية المعاصرة (بأسلوب التحليل التاريخي).

٣- تفسير وتحليل الفروض الفلسفية الكامنة وراء هذه القضايا (بمنهج التحليل الفلسفي).

ولذلك فإن نظرية التربية الاسلامية تعتمد هذه الاساليب الثلاثة في منهجها كالآتي:(٦١)

١- لها فروضها ومسلماتها التي تستند إلى مسلمات الاسلام كنظرية اجتماعية كبرى مصدرها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

٢- لها أسلوبها التاريخي في دراسة جذور المشكلات التربوية والتجارب التربوية، التي طبقت في الجماعة الاسلامية، والمفاهيم التربوية التي طبقت وطرحت من قبل المسلمين عبر التاريخ الاسلامي.

٣- لها أسلوبها العلمي التجريبي في دراسة الخبرات والمواقف التربوية المختلفة في مجالات الحياة في اطار المسلمات والمبادىء والقيم الاسلامية التي تكون الاطار الفكري الاسلامي.

كما أنها تعتمد أسلوباً رابعاً يميزها عن جميع النظريات الأخرى، هو الاسلوب الروحي لتربية الروح وتزكية النفس بقيم الاسلام وبفرائضه وبأذكاره وبأدعيته. وهو منهج يعكس الجانب الروحي الذي يكون الشطر الاساسي من المنهاج الاسلامي كله.

النظريات التربوية الفرعية وعلاقتها بالنظرية الكلية:

سبق عرض الاطار العام لنظرية التربية الاسلامية، والذي تبين من خلاله ان التربية الاسلامية تعتمد الاساليب العلمية والتاريخية والتحليلية الفلسفية و...الخ

في منهجها وفي معالجتها لحياة الانسان. أما علاقة النظريات الفرعية بالنظرية الكلية فيمكن توضيحها فيما يلي:

تهتم نظريات التعلم بتفسير التغير الحادث في سلوك الانسان، نتيجة تعرضه لمثير أو عدة مثيرات. وقد فسر علماء النفس سلوك الانسان تفسيرات شتى، فيما يتعلق بالحاجات والقدرات والميول والاتجاهات وغيرها. ثم توصلوا الى عدة أسس او مبادىء او نظريات تفسر حدوث التعلم عند الانسان منها المثير والاستجابة، والفعل الشرطي، والتغذية الراجعة، والكل والجزء،...الخ.

وينبثق مفهوم التعلم في القرآن الكريم والسنة الشريفة من المفهوم العام الذي يحدد حدوث أفعال الانسان، فإذا اتفقت ممارسات الفرد او الجماعة مع مشيئة الله، فتح الله عليه باب التعلم " واتقوا الله ويعلمكم الله" (البقرة-٢٨٢) "ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء" (البقرة-٢٥٥) " قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا" (البقرة٠٣٢). أما اذا تعارضت ممارسات الانسان مع ما يقرره الله سبحانه وتعالى، فان التعلم يسير في اتجاه مخالف للصواب، ويأتي بآثار سلبية (٦٢).

وانطلاقاً من هذه القاعدة تضمن القرآن الكريم والسنة الشريفة عدة مبادىء يشترط مراعاتها لحدوث التعلم وهي: (٦٣)

١- المزج بين المبادىء النظرية والممارسات العملية.

٢- تكوين الاتجاه قبل الفهم واستيعاب المعلومات.

٣- مراعاة استعدادات المتعلم.

٤- التشويق.

٥- التعزيز.

وقد سبق الحديث عن طبيعة الانسان (المتعلم) ومراعاة الاسلام لمكونات طبيعته.

ولكي يصل الانسان الى العلم ويتعرف على الحقيقة، وضع الاسلام مجموعة من القواعد والاساليب والقوانين التي يستخدم من خلالها أدواته وامكانياته التي خلقها الله له للوصول الى العلم، من هذه القواعد والاساليب ما يلي :(٦٤)

١- عدم التقليد دون نظر وفكر.

٢- عدم الأخذ بالظن.

٣- تخليص العقل من كل الأحكام التي لم تقم على يقين.

٤- التدرج من المحسوس الى المجرد ومن الجزئيات الى الكليات.

٥- تمحيص الرأى واختباره قبل الأخذ به.

وفيما يتصل بعمليات التعليم والتعلم-أيضاً- فقد وضع المسلمون مبادىء عديدة تراعي ظروف المتعلم وامكاناته وقدراته واستعداداته، منها:(٦٥)

١- مخاطبة المعلمين على قدر عقولهم.

٢- التفرقة في الطريقة التي تتبع في التعليم.

٣- تعويد المتعلمين الاعتماد على النفس وتقدير الذات.

٤- مراعاة الاستعدادات الفطرية والغرائز الطبيعية للمتعلم في إرشاده وتوجيهه.

٥- الرفق في معاملة المتعلمين.

وبالنسبة للمعلم وصفاته التي يجب ان يتحلى بها، فكثيرة تلك الصفات التي أكد عليها الاسلام والتي يجب ان تتوفر في المعلم، من هذه الصفات ما يلي: (٦٦)

١- الزهد والتعليم ابتغاء مرضاة الله.

٢- طهارة المعلم.

٣- الاخلاص في العمل.

٤- الحلم.

٥- الهيبة والوقار.

٦- العلم بطبائع المتعلمين.

٧- التمكن من المادة العلمية والاستمرار في البحث والاطلاع.

أما بالنسبة للمناهج الدراسية فقد راعت التربية الحديثة ميول المتعلمين والفروق الفردية بينهم، لذلك تعددت المناهج لتراعى ذلك. واذا تأملنا النظرة الاسلامية التي تبنتها التربية الاسلامية، نجد انها عند اختيار المناهج الدراسية راعت المبادىء الاتية : (٦٧)

١- أثر المادة في تربية النفس وكمالها، فدرست مناهج الدين ومناهج الدنيا.

٢- أثر المادة في النصح والارشاد باتباع طرق الحياة الفاضلة الكاملة كعلوم الاخلاق والحديث والفقه الاسلامي.

٣- دراسة مواد للاستمتاع العلمي والفكري بها (دراسة العلم لذاته) كالمنطق مثلاً.

٤- دراسة العلوم المهنية والفنية بقصد كسب الرزق.

٥- دراسة بعض العلوم لتسهيل دراسة غيرها.

وخلاصة القول ان المناهج الدراسية التي وضعها المسلمون، لم تهمل العناية بالمواد الثقافية والاعداد المهني والتدريب العملي والتفكير في الحياة.

أما طرق التعلم وأساليبه في الاسلام، فقد تعددت وتباينت بحيث تراعى ظروف المعلمين وامكاناتهم والفروق الفردية بينهم، ومنها:

- التربية عن طريقة القصة،
- التربية بالممارسة والعمل.

- التربية بالقدوة.
- التربية بالترغيب والترهيب.
- التربية بالموعظة.
- التربية بالمناظرة.

وخلاصة القول أن النظريات التربوية الفرعية (التعليم، التعلم، المنهج، طريقة التدريس،..) التي احتوت عليها النظرية الاسلامية في التربية قد أسهمت في بناء النظرية الكلية التي تناولت الكائن البشرى في كلياته لا في أجزاء منه، على النحو الذي سبق بيانه.

أسس بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة :

في ضوء العرض السابق للنظرية والنظرية التربوية، ونظرية التربية الاسلامية، وعلاقة النظريات التربويةالفرعية بالنظرية الكلية، ومع مراعاة الاطار العام لنظرية التربية الاسلامية، ومن منطلق الحاجة الهامة الى بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة، يعتقد الباحث ان هناك عدة أسس يمكن ان تسهم في بناء هذه النظرية، من هذه الأسس ما يلي :

الأساس التاريخي:

عند صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة يجب ان يوضع في الاعتبار المصادر الرئيسية التي تستقى منها التربية الاسلامية من حيث أصولها وأهدافها ومناهجها وطرقها،...الخ " اذ تكمن أصول النظرية التربوية الاسلامية في القرآن الكريم والسنة الشريفة، لأنهما يحتويان على خطوط عريضة تحدد أسس التربية وأهدافها، وميادينها ومناهجها، وأساليبها ووسائلها، بحيث تتدرج في اعداد الانسان المسلم إعداداً فكرياً ونفسياً ووظيفياً، مراعية في ذلك استعداداته وقدراته، وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه، وهي أصول مرنة تنفتح على تجارب الآخرين، وتراعي ظروف التطور في الزمان والمكان".(٦٨)

ويتطلب ذلك دراسة التراث العربي الاسلامي، والتأكيد عليه، وتمحيصه،واستخلاص ما به من آراء وأفكار ونظريات وتجارب مفيدة، لاصلاح مسار التعليم في العالم الاسلامي. هذه الدراسة للتراث تتطلب النظر اليه نظرة علمية موضوعية تاريخية تستوعبه في وحدته الكلية العضوية الشاملة، وتأخذه بداية بمختلف عناصره وروافده ومدارسه ومواقفه من حيث هو كل منسجم في بوتقة واحدة.

هذه النظرة الشمولية للتراث قابلة للبحث واعادة النظر، وهي نظرة منهجية علمية لا تستيطع أمة من الامم ان تتجنبها، فضلاً عن كونها المدخل الضروري امام الفكر العربي الاسلامي المعاصر ليعي حقيقة تراثه وجذوره في مختلف أبعادها.(٦٩)

الأســـاس الفلســفي:

الفلسفة نظام فكري ينشأ في بيئة اجتماعية معينة ويتفاعل مع مشكلاتها، ثم يحاول ان يرتفع فوق هذه المشكلات فكراً وتنظيماً، محاولاً ايجاد الحلول لهذه المشكلات. (٧٠) والفلسفة الاسلامية ذات طابع خاص وشخصية مستقلة، أخص خصائصها التوفيق والاختيار، توفق بين النقل والعقل، وتؤاخي بين الدين والفلسفة؛ ذلك لأن فلاسفة الاسلام يرون انه يمكن كشف الحقيقة من طرق عديدة، فيقود اليها المنطق والبرهان، كما يهدى اليها الوحي والالهام.(٧١)

وتحتل الحكمة في فلسفة التربية الاسلامية وضعاً له مغزاه، لأن الحكمة بالمعنى القرآني في قوله تعالى :" يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" (البقرة-٢٦٩) تؤدى في ضوء الوحي الى معرفة الحكيم، في حين ان كل فلسفات التربية العقلية الحديثة، ليس فيها عادة مكان للحكمة او العقل بمعناه التقليدي. (٧٢)

لذلك فعند صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة، ينبغى ان يوضع في الاعتبار ان فلسفة التربية الاسلامية تهتم أساساً بتربية النزعة الانسانية على غير ما تفعل فلسفات التربية الاخرى التي تركز على جانب العقل في المقام الأول.

وفي ضوء الفلسفة الاسلامية-الفردية، الجماعية، الاجتماعية- تطورت فلسفة التربية الاسلامية، وأصبحت تدور حول تنمية الفرد من مختلف جوانبه ورعاية نموه، بحيث يكون هذا النمو متكاملاً، يستطيع ان ينفع نفسه ويستمتع بحياته ويساهم في بناء مجتمعه. (٧٣)

ويندرج تحت الاساس الفلسفي الشكل الذي يجب ان تكون عليه اهداف التعليم، التي ينبغى ان يراعيها ويؤكد عليها من سيوكل اليهم أمر صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة، كما ينبغى ان تراعيها كل المؤسسات المسؤولة عن التربية في العالم الاسلامي، هذه الاهداف تتضح في الآتى :

الاهداف التربوية هي خير موجه لعملية التربية، وحتى يكون التوجيه فعّالاً، هناك عدة معايير يمكن الحكم بها على صلاحية هذه الاهداف، من هذه المعايير:

١- الاهداف التربوية ليست نهائية.

٢- يجب ان تبنى الاهداف على حاجات المتعلمين واهتماماتهم.

٣- ترتبط الاهداف بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجات المتعلمين.

٤- ترتبط الاهداف بالموقف التعليمي.(٧٤)

ولقد أتى الاسلام بأهداف تربوية فاقت كل المعايير؛ لأنها راعت خصائص البشر، فكانت محققة لمتطلبات المجتمع الاسلامي ومتمشية مع أنظمته وثقافته، وتتضح أهداف التربية الاسلامية في الآتي:(٧٥)

١- اصلاح العقل والقلب والجسم، والمساواة بين الذكر والانثى، وتأكيد الجانب الايماني والعقائدى، والاهتمام بالتعليم، وصحة الجسم والبدن.

٢- الارتقاء بالشخصية المسلمة بحيث تعمل على تحقيق: الشمول والتكامل، والاعتدال والتوازن، والوضوح وعدم التناقض، والتطبيق العملي والتشريع، والتطور والاستمرار، والتنمية الخلقية والروحية، والحرص على طلب العلم، وبناء مجتمع تسوده المساواة.

٣- اعداد الشخصية الانسانية التي تتحلى بصفات الصدق والأمانة والوفاء والاخلاص وأدب الحديث والجود والصبر والكرم و..... والانتفاع بالوقت والاتعاظ بالزمن.

٤- اعداد الانسان المسلم لحسن ملاقاة ربه، ولممارسة دوره كاملاً في الحياة، وليكون قوى البنية، مهذب الخلق، مثقف العقل.

٥- تنمية ذكاء الانسان، وتنمية قدراته على التأمل والنظر والتفكير.

٦- تقوية الروابط بين المسلمين،

٧- تحقيق سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

ولتحقيق هذه الاهداف يجب ان تقوم المؤسسات التربوية بترجمة هذه الاهداف الى اهداف سلوكية بحيث يتمثلها المتعلمون في اقوالهم وأفعالهم.

الأســـاس النفســـى (السيكولوجي):

الاساس السيكولوجي للتربية يلقى الضوء على الجانب المهم في العملية التربوية، وهو الفرد المتعلم ذاته: حاجاته ودوافعه، تكوينه البيولوجي ومزاجه النفسى وتركيبه العقلى، نموه في مختلف جوانبه، وكيفية ذلك النمو وأحواله. (٧٦)

وتتجه التربية الى النفس الانسانية من ثلاث جهات، هي جملة المظاهر الثلاثة للشعور كما أحصاها علم النفس، فهناك ناحية المعرفة، ثم ناحية الوجدان، ثم ناحية الارادة والسلوك. (٧٧)

لذلك بنيت نظريات علم النفس لتعالج هذه المظاهر الثلاثة للشعور في الانسان " ومحتوى كتب علم النفس التربوى على معالجات للنظريات الحديثة للتعلم، وقد أجريت الدراسات التجريبية لهذه النظريات على الحيوانات. ولا يستطيع أحد ان يثبت وجود صلة قوية بين الطريقة التي يتعلم بها الحيوان في أي من هذه النظريات وبين تعلم الطلاب في المدرسة. فالطلاب يظهرون أنماطاً من السلوك لا تظهر عند الحيوانات مثل القدرة على تذكر الماضى والتفكير النقدى والتفكير الابداعى. ثم ان الانسان يمتاز عن الحيوان بقدرته على استخدام الرموز". (٧٨)

وهي نقطة غاية في الاهمية عند دراسة أساليب وطرق التعلم، التي يتم اختبارها وتجريبها للتحقق من مدى صلاحيتها لمجموعة معينة من المتعلمين؛ اذ ان ما ينطبق على الحيوان لا يمكن الاخذ به على اطلاقه وتعميمه على الانسان.

وفي المصدرين الاساسيين للتربية الاسلامية-القرآن الكريم والحديث الشريف-تتضح الأسس النفسية للتربية الاسلامية، ففيهما تشريحاً نفسياً للانسان في كل حالاته؛ اذ تعرض القصص القرآني للأمم السابقة ابتداء من آدم عليه السلام وحتى العرب الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم. ويتضح في القصص القرآني المؤمن والكافر والمنافق، والسمو والرفعة، والاغترار والتملك، والترفع، وحب الشهوات، والثواب والعقاب، والجنة والنار....الخ.(٧٩)

لذلك يصبح من المهم-عند صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة-ان يراعى دور القصص القرآني في بناء الكتب والمقررات الدراسية. كما ينبغى ان توضع في الاعتبار تلك الخطوط المتقابلة في النفس البشرية، والتي تتأسس على ضوئها كيفية التعامل مع الانسان المتعلم وفقاً للطبيعة البشرية، تلك الطبيعة التي يصفها الاسلام بأنها كل متكامل لا تزكية للعقل على الجسم او الروح، بل ان التوازن هو صفة تلك الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بها. " وإن من عجائب التكوين البشري تلك الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية، كل اثنين منها متجاوران

في النفس وهما في الوقت ذاته مختلفان في الاتجاه: الخوف والرجاء.. الحب والكره.. الاتجاه الى الواقع والاتجاه الى الخيال.. الطاقة الحسية والطاقة المعنوية.. الايمان بما تدركه الحواس والايمان بما لا تدركه الحواس.... حب "الالتزام" والميل للتطوع... الفردية والجماعية... السلبية والايجابية... الخ. كلها خطوط متوازية ومتقابلة وهي-باختلافها ذلك وتقابلها-تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشرى بالحياة".(٨٠)

لذلك فان التربية في الاسلام تستند الى نظرية في " الطبيعة البشرية" تراعى فطرة الانسان وجميع امكاناته، وتستند كذلك الى نظرية في " المعرفة" تراعي النواحى العقلية والحسية والروحية في اطار من الشمول والتكامل.(٨١)

ويتضح من ذلك اهمية الاساس السيكولوجي في صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة، تؤسس في ضوء صفات الشخصية المسلمة التي ارادها الله -سبحانه وتعالى-لعمارة الارض وخلافته فيها، ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر الحق ويزهق الباطل ولو كره الكافرون.

خاتمة

يتبين من العرض السابق ن نظريات التربية التي تمت صياغتها في الغرب لا تصلح للتطبيق في المجتمعات الاسلامية، لذلك تظهر أهمية الاخذ بنظرية التربية التري أتى بها الاسلام. اذ ان الاسلام قدم للبشرية نظرية تربوية متكاملة، تظهر-كما سبق القول-في سياق آيات القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هذه النظرية تناولت الفرد والمجتمع من جميع جوانبهما بمنهج تعليمى الهى، واشتملت على نظام تربوى يُعدّ الانسان لحياته الحاضرة والمستقبلة.

وقد حاولت الدراسة الحالية تحديد بعض الأسس التي تساهم في صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة وهي : الاساس التاريخي والاساس الفلسفي والاساس السيكولوجي. على ان هذه الأسس يكملها دور المؤسسات التربوية المهم الذي يجب ان تؤديه في هذا المجال، والذي يمكن ان نسميه" الأسلمة" "أسلمة المعرفة أو أسلمة

التربية" وهي مسألة غاية في الاهمية؛ اذ ان صياغة نظرية تربوية اسلامية معاصرة وحدها بدون ان تجد لها تطبيقاً في الميدان التربوي، تعد امراً غير كاف. ويرى الباحث ان من متطلبات التطبيق، (تطبيق النظرية التربوية الاسلامية) أسلمة التربية. هذه الاسلمة يقصد بها صياغة العملية التربوية من حيث الاهداف والمحتوى وطرق التدريس واعداد المعلم وغيرها-فيما يتصل بالعملية التربوية-في ضوء المنظور الاسلامي.

فبالنسبة لأسلمة الاهداف التربوية، سبق القول ان هناك عدة معايير للحكم على صلاحية هذه الاهداف. وقد تبين ان الاسلام أتى بأهداف فاقت كل المعايير؛ لأنها راعت خصائص البشر وكانت محققة لمتطلبات المجتمع الاسلامي ومتمشية مع نظمه وثقافته.

وبالنسبة للمناهج الدراسية، فالملاحظ ان محتوى المناهج في بعض مدارسنا يتضمن عدة حقائق علمية، يؤكد أصحابها على انها مطلقة (وهكذا يتعلمها الطلاب). وقد ارتبطت هذه الحقائق بنظريات لاقت من الترويج ما مكن لها-أيام ظهورها-من الانتشار وذيوع الصيت. وقد أظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة تصدعاً كبيراً في جدران هذه النظريات. ومن المعلوم ان " هدم نظريات او نقض بنائها او اكتشاف اخطاء فيها ينفي كمال العمل، حيث يقول العالم "ديورانت": اين ذهبت اليوم قوانين نيوتن العظيم، حيث قلب (اينشتين) وغيره الكون رأساً على يعقب؛ وأين مكان نظرية عدم فناء المادة وبقاء الطاقة في الميتافيزيقا المعاصرة؛ أيمكن ان تكون قوانين الطبيعة مجرد فروض وضعها الانسان؟ وقد يكون نصيبها النجاح او الفشل؟ ".(٨٢)

وهكذا يجب ان تصاغ المناهج الدراسية في مراحل التعليم المختلفة، على اساس انه ليست هناك حقائق مطلقة في العلم، بينما الحقيقة المطلقة هي وجود الله سبحانه وتعالى، وما عداه في الكون فهو نسبي. وعلى اساس ان الظواهر التي يدرسها الطلاب قابلة للتغيير والتجديد والتطوير، وان التغير، لا الثبات، هو سنة الكون. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالقرآن الكريم مليء بالظواهر والاحداث

والقصص والعلوم و...الخ، والتي يمكن ان تكون الاساس الذي يتم في ضوئه صياغة المناهج الدراسية صياغة اسلامية.

وبالنسبة لطرق التدريس، فمن المعلوم انه كان لنظرية التربية الاسلامية انعكاس على طرق التعلم وأساليبه، اذا استخدمت أساليب متعددة تدعو لممارسة العمل بالفعل، وامتحان الطلاب عن طريق الخبرة المباشرة. ومن أساليب التعلم القدوة وضرب الامثال وذكر القصص. وقد استخدمت اساليب الثواب والعقاب والترغيب والتهديد، كل في حينه. كما اختلفت اساليب التعلم وطرق التدريس باختلاف الأعمار ووفقاً لقدرات كل فرد لمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

أما بالنسبة لأسلمة عملية اعداد المعلم، فنعني بها اعداده من منظور اسلامي بحيث يتضح ذلك في الجوانب المختلفة لعملية الاعداد، وهى الاعداد العلمي الاكاديمي، والاعداد الثقافي العام والاعداد المهني التخصصي، ويتطلب ذلك ان تقوم المؤسسات التربوية المسئولة عن اعداد المعلمين بتوجيه اسلامي للعلوم والمعارف التي تتضمنها عملية الاعداد، وان تقوم بهذا التوجيه مراعية الموضوعات التي تدعم الصفات الاساسية التي جعلت الامة الاسلامية خير امة أخرجت للناس، كما ان عليها ان تعيد النظر فيما كتب في المقررات الدارسية المختلفة على ان يحذف منها ما يتعارض مع مبادىء التربية الاسلامية وأهدافها السامية.

وفيما يتعلق بأسلمة عملية اعداد المعلم توجد الكثير من الصفات التي يجب ان يكتسبها المعلم-وهي مهمة أولى لكليات ومعاهد الاعداد-من هذه الصفات: الاخلاص في العمل والحلم والهيبة والوقار والابوة والرحمة والعلم بسيكولوجية المتعلم والتمكن من المقررات الدراسية التي سيوكل اليه امر تدريسها.

ومجمل القول في أسلمة التربية انه يجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة هما الأساس الذي يتم على ضوئه أسلمة العملية التربوية.

وحينما تتحقق هذه الأسلمة يتم التكامل بين النظرية والتطبيق، وهو ما نبغيه وننادى به ونؤكد عليه في ميدان التربية والتعليم؛ " فليست النظرية الاسلامية عن النفس الانسانية نظرية معلقة في سماء البحث تسكن في البرج العاجي، ولا تفيد واقع الارض، وانما هي جزء من هذا الواقع، يؤدى مهمته-بطريقته الخاصة-في دولاب الحياة الكبير". (٨٣)

كلمة أخيرة:

في نهاية الدراسة يؤكد الباحث ان الأسس المقترحة لبناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة ليست نهائية، بل انها قابلة للمراجعة والفحص والاختبار. كما ان دراسة واحدة-كهذه- لا تكفى ان تلم بكل الأسس اللازمة لبناء هذه النظرية، ولا شك ان دراسات أخرى جادة وهامة ستثري المجال وستسهم بدور كبير في التوصل الى الأسس، التي يتم على ضوئها بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة، تستفيد منها نظم التربية والتعليم في المجتمعات العربية والاسلامية.

والله من وراء القصد

مراجع الدراسة

١- محمد متولى الشعراوي: منهج التربية في الاسلام، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٦م، المقدمة.

٢- ف. كومبز: أزمة التعليم في عالمنا المعاصر، ترجمة احمد كاظم، جابر عبد الحميد، القاهرة، دار النهضة العربية، دون تاريخ، ص ١٣٨.

٣- محمد احمد الغنام:الاتجاهات والقضايا التربوية الاساسية التي تفرض نفسها على المستقبل في البلدان العربية، الندوة الاقليمية حول مستقبل التعليم في البلدان العربية، ٧-٩ أكتوبر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٣٨.

٤- وحيد الدين خان:الاسلام يتحدى، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المختار الاسلامي، ١٩٨٤م، المقدمة ص١٥.

٥- محمد سيف الدين فهمي:دراسة نقدية لكتب ومقررات فلسفة التربية بكليات التربية في البلاد العربية، مجلة كلية التربية جامعة الازهر، العدد السادس،١٩٨٦م،ص ٥٦.

٦- محمود السيد سلطان:النظرية التربوية في الاسلامي، في قراءات في التربية الاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٢م، ص٣٢.

٧- محمد لبيب النجيحي:التربية، اصولها الفلسفية والنظرية، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م، ص ١٢٧.

٨- سهام بدير:البحث العلمي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٦-٧.

٩- محمد لبيب النجيحي: التربية، أصولها الثقافية والاجتماعية، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ١٢.

D.J.O'C Connor: An Introduction to the theory of education, London, Routledge and Kegan Paul, 9 th ed., 1971, P.92.

Benjamin, B.Wolman: Dictonary of Behavioral Sciences, U.S.A, Litton Educational Publishing Inc, 1973, P. 384.

John, P. Bradley (et al): The international Dictonary of thougths, Chicago, Feguson Publishing Co., 1969, P. 719.

١٣- لمزيد من التفصيل عن النظرية، والنظرية التربوية، راجع

T.W. Moore: Philosophy of education, An Introduction, London, Routledge and Kegan Paul, 1982, PP. 7-11.

١٤- محمد لبيب النجيحي: التربية، أصولها الفلسفية والنظرية، مرجع سابق، ص ١٢٦.

Ben Morris: Objectives and Prespectives in education, Studies in educational Theory, London, Routledge and Kegan Paul, 1972, P. 84.

١٦- جورج.ف. نيلر:مقدمة الى فلسفة التربية، ترجمة نظمى لوقا، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص ٤٩.

١٧- لمزيد من التفصيل عن هذه النظريات، راجع:

- آمال حمزة المزوقي: النظرية التربوية الاسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، جدة، تهامة، ١٩٨٢م، ص ٢١-٥٧.
- سهام العراقي: الوجودية والتربية، مجلة التربية المعاصرة، العدد الرابع، يناير ١٩٧٦م، ص ٢٤٠.
- لطفي بركات أحمد: التربية ومشكلات المجتمع، القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٨، ص٢٥.

١٨- كافين رايلى :الغرب والعالم (القسم الثاني) ترجمة عبد الوهاب المسيرى، هدى حجازي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير ١٩٨٦م، ص ٣٦٧.
١٩- محمد سيف الدين فهمي:النظرية التربوية واصولها الفلسفية والنفسية، الطبعة الاولى، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص ٣٣-٣٤.
٢٠- منير المرسى سرحان: في اجتماعات التربية، الطبعة الثالثة، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٢م، ص ٩٢.
٢١- محمد سيف الدين فهمي:مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.
٢٢- نفس المرجع السابق: ص ٩٦.
٢٣- ذات المصدر السابق: ص ٦٦.
٢٤- محمد قطب: دراسات في النفس الانسانية، الطبعة السادسة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٢م، ص ٦٦-٦٨.
٢٥- لمزيد من التفصيل عن الخير والشر في الانسان، راجع:
-قبارى محمد اسماعيل: قضايا علم الاخلاق، دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص ١٤٠.
-لطفي بركات احمد: في مجالات الفكر التربوي، الطبعة الاولى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص ٢٣-٢٤.
٢٦- عبد الغنى النوري، عبد الغنى عبود: نحو فلسفة عربية للتربية، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩، ص ١١٩.
٢٧- المرجع السابق: ص ١١٧-١١٨.
٢٨- نفس المرجع: ص ١٢٢.
٢٩- ذات المرجع: ص ١٠٢.
٣٠- سعد مرسى احمد، سعيد اسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م، ص ٥٨.
٣١- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٠٣.

٣٢- المرجع السابق: ص ١٠٦-١٠٧.
٣٣- محمد قطب : مرجع سابق، ص ١٢٠.
٣٤- عبد الغنى النوري، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٠٤-١٠٥.
٣٥- محمد متولى الشعراوي:مجموعة محاضرات، القاهرة، وزارة الدفاع، ادارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة، ١٩٧٨م، ص ٧.
٣٦- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٠٧.

٣٧- أمينة حسن : نظرية التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، الطبعة الاولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ١٥١.
٣٨- سعيد اسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم في مصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ٢٠٢-٢٠٣.
٣٩- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.
٤٠- محمد لبيب النجيحي: التربية، أصولها الفلسفية والنظرية، مرجع سابق، ص٢٨٠.
٤١- منير المرسى سرحان: مرجع سابق،ص ٩٧.
٤٢- كافين ريلى: مرجع سابق، ص ٣٦٧.
٤٣- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٣٣.
٤٤- محمد قطب : مرجع سابق، ص ١٦١.
٤٥- عبد الغنى النوري، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٣١.
٤٦- محمد عطية الابراشي: التربية الاسلامية وفلاسفتها، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.ص ٤٢.
٤٧- المرجع السابق: ص ٤٣.
٤٨- محمد سيف الدين فهمي: مرجع سابق، ص ٧٩.
٤٩- المرجع السابق: ص ٦٥.

٥٠- نفس المرجع السابق: ص ٦٦-٧٣.
٥١- احمد ابراهيم مهنا: التربية الاسلام، القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٢م، ص ٣١.
٥٢- عبد الله علوان:تربية الاولاد في الاسلام، الطبعة الثالثة، بيروت، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
٥٣- محمد عطية الأبرشي: المرجع السابق، ص ٢٤.
٥٤- محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، الطبعة السابقة، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣م.
- محمد قطب:دراسات في النفس الانسانية، مرجع سابق
٥٥- أمينة حسن : مرجع سابق، ص ١٣٧.
٤٦- المرجع السابق: ص ١٥٠
٥٧- نفس المرجع السابق: ص ١٦٥.
٥٨- نفس المرجع : ص ١٦٦.
٥٩- محمود السيد سلطان: مرجع سابق، ص ٥٣.
٦٠- نفس المرجع : ص ٣٣.
٦١- نفس المرجع: ص ٣٥.
٦٢- ماجد الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية، الطبعة الاولى، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٨م، ص ٥٤.
٦٣- المرجع السابق: ص ٥٥-٥٧.
٦٤- عبد الفتاح جلال: من الاصول التربوية في الاسلام، المركز الدولى للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، سرس الليان، المنوفية، مصر، ١٩٧٧م، ص ص٣١-٣٧.
٦٥- محمد عطية الابراشي: مرجع سابق،ص ص ٥٥-٥٧.
٦٦- المرجع السابق: ص ١٣٦-١٣٨.

٦٧- عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ، الطبعة الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص ٢١٠-٢١٧.
- محمد عطية الابراشي: مرجع سابق، ص ١٦٩-١٧٧.
٦٨- ماجد الكيلاني: مرجع سابق، ص ٧.
٦٩- مكتب التربية العربي لدول الخليج: دراسة موضوع التراث العربي الاسلامي والعناية به، التي أقرها مجلس التعليم العالى في دورته الثالثة عشر بالكويت ١٨-٢٠ديسمبر ١٩٨٤م، ص ١٣-١٤.
٧٠- محمد لبيب النجيحي: في الفكر التربوي، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ٩٨.
٧١- ابراهيم مدكور في الفلسفة الاسلامية، منهج وتطبيقه، الجزء الاول، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ١٩٧.
٧٢- محمد النقيب العطاس: التعليم الاسلامي، أهدافه ومقاصده، ترجمة عبد الحميد الخريبى، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٨٤م، ص ١٠٧.
٧٣-عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ص ٢٦٩-٢٧٥.
٧٤- محمد لبيب النجيحي: التربية، أصولها الفلسفية والنظرية، مرجع سابق، ص ١٤٦.
٧٥- لمزيد من التفصيل عن تلك الاهداف، راجع:
- مقداد يالجن: توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الاسلامي، الطبعة الاولى، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٢م، ص ١٤٤-١٤٧.
-محمد الغزالى: خلق المسم، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٤م.
٧٦- عبد العنى النورى، عبد العنى عبود: مرجع سابق، ص ١٤٤.
٧٧- محمد الغزالى : نظرية التربية الاسلامية للفرد والمجتمع، في قراءات في التربية الاسلامية، مرجع سابق،ص ٢٨.

٧٨- عبد الرحمن صالح عبدالله: التوجيه الاسلامي للعلوم التربوية، الطبعة الاولى، جدة، دار المنارة للنشر، ١٩٨٦م، ص ٢٥.
٧٩- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ١٦٠.
٨٠- محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٦.
٨١- محمود السيد سلطان: مرجع سابق، ص ٤٨.
٨٢- كارم السيد غنيم: العلوم الكونية والبحوث المدنية في ميزان الاسلام، مجلة الاسلامي اليوم، العدد الثالث، ابريل ١٩٨٥م، ص ٤٠.
٨٣- محمد قطب: دراسات في النفس الانسانية، مرجع سابق، ص ١٢.